

## بلاغة التشبيه في قصيدة البردة للبوصيري

د. عبد الرؤوف كينيدي أبيأوي

### الملخص

يتناول البحث عن ظاهرة أسلوبية في قصيدة الشاعر النبوي محمد البوصيري، وهي ظاهرة التشبيه في شعره ويأتي الاهتمام بمثل هذه الظاهرة في ديوانه، لأن التشبيه بأشكاله المختلفة يعد من أدوات الفنية الرئيسية في النص الأدبي بشتى أنواعه. وله دور في بيان رؤية الشاعر وإيصالها الى السامع أو المتلقى، ومن دون ذلك فان التشبيه بأنواعه يشكل جزءا من اللغة الشعرية.

### مقدمة

#### التشبيه، الماهية والأهمية

التشبيه في اللغة من شبه بمعنى أمثله به، وشابهه أو أشبهه: ماثله أى كان مثله، وتشبه به: ماثله وجاره في العمل، وتشابهه الرجلان: أشبه كل منهما الآخر. والشبه جمع أشباه ومشابه، كحسن ومحاسن ١ .

وقوله: أورد الشاعر تشبيها جميلا: أتى بصورة يشبه فيها مثلا وجه المرأة بالقمير ٢

أما التشبيه اصطلاحا: فهو عقد مشابهة بين أمرين هما طرفاه، وقد يكونان حسيين أو معنويين أو مختلفين ٢ . وهو اطار من الأطر التي تدور حولها الدراسات البلاغية، بل هو من أهم العناصر وأقوى الخصيات التي امتز بها اللسان العربي وفاقت بلاغته.

التشبيه: أول طريقة تدل عليه الطبيعية لبيان المعنى، وهو في اللغة التمثيل. وعند علماء البيان، مشاركة الأمر لأمر في معنى بأدوات معلومة كقولك: العلم كالنور في الهداية، فالعلم مشبه، والنور مشبه به، والهداية وجه الشنبه، والكاف أداة التشبيه، فحينئذ

أركان التشبيه أربعة: مشبه ومشبه به ويسميان طرفي التشبيه، وأداة تشبيه ملفوظة أو ملحوظة ٤ .

و في اطار هذه المحاولات تأتي دراستي هذه الظاهرة من خلال النص الشعري متمثلا في شعر البوصيري، حيث كانت هذه الظاهرة متوفرة فيه على مختلف سماتها البنائية، وذلك من أجل الكشف عن أبعادها وخصائصها ووظائفها داخل النص الشعري.

#### حياة الشاعر

كان البوصيري لقب نفسه لدلاصيري، نسبة إلى قرية دلاص حيث مولد أمه وقرية بوضير حيث مولد أبيه لكنه لم يشتهر به كإشتهاره بالبوصيري، فهو محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن هلال الصنهاجي المغربي. ولد عام ٦٠٦ هـ ، ومات ٦٩٥ هـ بالمرستان المنصوري بالقاهرة. وضريح البوصيري مشهور بالإسكندرية، واتصل بمسجد كبير تدرس به العلوم الدينية ٥ .

فالبوصيري كان شقيا في بيته

، وفي علاقته الزوجية، شقاء منبه الفقر والفاقة وكثرة العيال والشيخوخة والمرض وبغض الزوجة. ذلك أن المودة، مهما كانت قوية بين الزوجة، إن تتسرب تاليها تلك العوامل حتى تفسد ما كان بينهما من ود، وتكشف عن كثير من التناقضات. فتستحيل الحلة الأسرية جعيما لا يطاق. ولسوء حظ البوصيري اجتمعت عليه تلك العوامل كلها. وجعله يعرض على كبراء القوم وساداتهم لسوء حاله ومأساته عسى أن يجلب عطفهم ويستدر نواله بأسلوب شعري لا يخلو من ذكاء ونكتة وفكاهة. ولا عجب أن يميل الى الفكاهة في حال الشدة المأساة ٦ . أما بالنسبة لثقافة البوصيري فلم تشر المصادر والمراجع التي ترجمت للبوصيري بما فيه الكفاية إلى تكوينه الثقافى. ولعل هذا ما جعل محقق ديوانه، محمد سيد كيلاني يفتح باب الاجتهاد بالحدس والافتراض تارة و بالقياس والاستنتاج تارة أخرى ٧ . قد تشعب البوصيري بمبادئ التصوف، وبخاصة مبادئ الشاذلي. يستنتج ذلك من أشعاره وإهتمامه الخاص بشيخ الطريقة أبي الحسن

الشاذلي وتلميذه أبي العباس المرسي. فقد ظل الشاعر على حبهما واللهج بمبادئهما في حياتهما وبعد موتهما مادحا ومعزيا وزائرا ٨ . إن ارتباط البوصيري بهذه الطريقة يعود لسببين: أولهما أن الشاذلي ينتهي نسبه الى الرسول ﷺ وحب الشاعر له من حبه للرسول وآله، أما السبب الثاني فيرجع لطبيعة الطريقة الشاذلية ومبادئها: إذ هي طريقة معتدلة ودعوة إصلاحية تؤمن بالجهد ومحاربة الفساد. فوجدنا أن حياة البوصيري لا تخرج عن هذا الإطار الهام. فهو رجل متدين صوفي، لكن ذلك لا يمنعه من الانخراط في مشاكل الحياة الاجتماعية، والبحث عن مصادر العيش، وحمل رسالة الإصلاح في مجتمع فاسد ٩.

### نص قصيدة البردة

أمن تذكر جيران بذي سلم  
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم  
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة  
وأومض البرق في الظلماء من اضم  
فما لعينيك ان قلت اكفأ همتا  
وما لقلبك ان قلت استفق يهم  
أيحسب الصب أن الحب منكم  
ما بين منسجم منه ومضطرم  
لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل  
ولا أرققت لذكر البان والعلم  
ولا أعارتك لوني عبرة وضنى  
ذكرى الخيام وذكرى ساكنى الخيم  
ككيف تنكر حبا بعد ما شهدت  
به عليك عدول الدمع والسقم  
وأثبت الوجد خطى عبرة وضنى  
مثل البهار على خديك والعم

نعم سرى طيف من أهوى فأرقني  
والحب يعترض اللذات بالألم  
يا لائمي في الهوى العذري معذرة  
مني اليك ولو أنصفت لم تلم  
عدتك حالي لاسري بمستتر  
عن الوشاة ولا دائي بمنحسم  
محضتني النصح، لكن لست أسمع  
ان المحب عن العذال في صمم  
اني اتهمت نصيح الشيب في عدل  
والشيب أبعد في نصح عن التهم  
فان أمارتي بالسوء ما تعظت  
من حهلها بنذير الشيب والهرم  
ولا أعدت من الفعل الجميل قرى  
ضيف ألم برأسي غير محتشم  
لو كنت أعلم أني ما أوقره  
كتمت سرا بدا لي منه بالكتم  
من لي برد جماح من غوايتها  
كما يرد جماح الخيل باللجم  
فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها  
ان الطعام يقوي شهوة النهم  
والنفس كاطفل ان تهمله شب على  
حب الضاع وان تظلمه ينفظم  
فاصرف هواها وحاذر أن توليه  
ان الهوى ما تولى يصم أو يصم ١٠

### تحليل الإجمالي للقصيدة

بدأ الشاعر القصيدة بالنسب بدل الغزل، ذلك الغزل إنما هو التصابي بموادات النساء، وهذا ما لا نجده في مقدمة البردة. وإنما الذي ينسجم مع مقدمة هذه التوبة هو ما التشوق والتفكر لمهاهد الأحبة بالرياح الهابة والخيالات الطائفة ، وأثار الديار العافية وأشخاص الديار الدائرة. يبدو أن البوصيري عبر عن حبه لربه

عن طريق حبه لشخص آخر، له مكانة خاصة عند الله تعالى، ووضع متميز بين البشر. إنه نبي الإسلام محمد ﷺ. وهذا المس ليس غريبا في الطريقة الشاذلية، إذ حب عشرة يأتي الرسول على رأسهم. فالبوصيري إذن عبر عن حب الله عن طريق حبه لرسوله. وعن طريق هذا الحب سيضمن تحقيق هدفين: أولهما طرق باب الكرامة واتباع مرضاة الله في الآخرة، وثانها استحضار مخلص البشرية واستدعاؤه لمواجهة الخطر الذي يترصد بالأمم الإسلامية في لحظة تاريخية وحرجه مظلمة.

استعمل الشاعر في القصيدة مجموعة من الرموز الدالة ذات الوظيفة المرجعية . ومنها ذو سلم، كاظمة، إضم، طلل، البان، العلم، هذه الرموز كلها تعود إلى أرض الحجاز ما بين سهل وجبل، وهي الأماكن التي كان الرسول يتردد عليها. إلا أن دلالة هذه الرموز في الشعر لا تقف عند حدود وظيفتها المرجعية، بل تتجاوزها إلى الإيحاء والانفتاح الى أبواب التأويل. فالشاعر يبكي هذه الأماكن، ويتشوق إليها، ويسترجعها لحظاتها الزاهرة. إذ هي أرض ذات سلم وسلام وأمن وأمان ، فمقابل أرض واقية يعيش فيها الشاعر، لكنها متخمة بالحروب والجراح. ومن ثم فهي كاظمة للفيظ مسكنة له، بينما أرض مصر أصبحت مقبر بفعل الحروب والأمراض والمجاعات، فأصبحت أرضا مستنفزة مثيرة للغضب، ومرورة للظوب. حتى وقد أصبحت طللا بلغة الشعر. ومما

والبحر في كرم والدهر في همم  
كأنه وهو فرد من جلالته  
في عسكر حين تلقاه وفي حسم  
كأنما اللؤلؤ المكنون في صدف  
من معدنى منطق منه ومبتسم ١٣  
هذه الأبيات تحمل تشبيهات  
متعددة، ولذلك يقدم البوصيري بطله  
وسط حشد من الأنوار المستمدة من  
ضياء الشمس والبدر والزهر واللؤلؤ.  
وفي البيت الأخير تشبيه تمثيلي رائع  
حيث يمثل الشاعر ممدوحه باللؤلؤ  
المكنون في صدف بكلامه وثره الذين  
يبرزان من معدن منطقته ومبتسمه.

لا شك أن البوصيري رجع الى كثير  
من كتب التاريخ والسيرة والحديث لكي  
يستقى منها مادة غزيرة يعزز بها  
موقفه ويستلهمها فنيا في بناء قصيدته  
واظهار ممدوحه في صورة البطل  
العجائبي أى البطل الخارق الذي تنقاد  
له الكائنات. وقد أخذ البوصيري هذه  
القصة في سياق عرضه لمعجزات هذا  
الرسول العظيم وابرز قدره العالي  
عند الله، فتشجعا في قالب شعري لا  
يخلو من جمالية وبعد دلالي، فقال:

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة  
تمش اليه على ساق لا قدم  
كأنما سطرت سطرًا لما كتبت  
فروعها من بديع الخط باللحم  
مثل الغمامة أنى سار سائرة

تقيه حر ووطيس للهجير حمى ١٤  
هذه الأبيات تقدم لوحة شعرية  
تنبض بالحياة، تجعل عناصر الطبيعة  
، وهي هنا الشجر تشارك الانسان  
في طقوس العبادة والطاعة، فتسجد  
وتستجيب لدعوة الرسول وتمش اليه

ألفته من المعاصي دامت على حبه، وان  
منعتها عنه امتعت.  
ان ما في هذا البيت من التشبيه  
أردأ التشبيهات لأن جميع أركان  
التشبيه مذكورة فيه: فالمشبه وهو  
النفس، والمشبه به وهو الطفل، وأداة  
الشبه وهي الكاف ووجه الشبه وهو  
البث على حب شئ مع كون الشاعر  
أفصح الفصحاء. فما وجه ذهابه  
الى هذا التشبيه؟ لعله ذهب الى  
هذا الطريق ليكون المقام أقرب الى  
فهم المرام ولشدة حرصه على طريق  
الافهام كما لا يخفى على العلماء  
الكرام والفضلاء الفخام.

لم يمتحنا بما تعيا العقول به  
حرصا علينا فلم ترتب ولم نهم  
أعيا الثورى فهم معناه فليس يرى  
في القرب والبعد فيه غير منضم  
كالشمس تظهر للعينين من بعد  
صغيرة وتكل الطرف من أمم ١٢  
يصف الشاعر الرسول بالشمس  
في أنه لا يحاط بكنهه وحقيقته في  
حالتى القرب والبعد. في هذا البيت  
خلق الشاعر الموقف الذي جعل  
البشري يقف عاجزا عن ادراك حقيقة  
الرسول □ ان هو كالشمس تظهر  
العين صغيرة بعد، لكنها تعجز البصر  
عن قرب، والحقيقة عند البوصيري أن  
ادراك سر هذا الرسول □ لا يتأتى في  
الدنيا لقوم نيام وفي غفلة من أمرهم  
، ولذلك كان مبلغ علمهم أن هذا لرسول  
بشر، وأنه خير الخلق أجمعين.  
فانه شمس فضل هم كواكبها  
يظهرن أنوارها للناس في الظلم  
كالزهر في ترف والبدر في شرف

يعطي للظل صورته الايجابية هو  
اقتراحه في سياق البيت بالبان والعلم:  
والبان ضرب من الشجر، العلم:  
المنار، الجبل الطويل.....  
فيمكن القول أن البوصيري قد وفق  
فعلا في خلق تواصل مستمر بينه وبين  
متلقيه، وجعله طرفا مبدعا يساهم  
معه في إنتاج المعنى. فالبوصيري منذ  
مطلع القصيدة يتنازل عن أنه ويقبل  
بدور المخاطب الذي يستمع ويتلقى  
هجمات المتكلم المتخيل. فأصبح  
النص يوهنا بأن هذا المتكلم خارج  
عن ذات الشاعر.

### بلاغة التشبيه في القصيدة

فللتشبيه موقع حسن في  
البلاغة، وذلك لاجراجه الخفي الى  
الجلي وادناؤه البعيد من القريب،  
يزيد المعنى رفة ووضوحا، ويكسبها  
توكيدا وفضلا ويكسوها شرفا ونيلًا:  
فهو فن واسع النطاق، فسبح الخطوة  
، ممتد الحواشى، متمشج الأطراف  
متوعر المسلك، غامض المدارك، دقيق  
المجرى، غزير الجدوى.

استخدم البوصيري تشبيهات  
عدة في قصيدته البردة لكونها صورة  
صادقة، ومرة شفاقة تعكس ما بداخله  
من الخفايا النفسية. فتأخذ بعض هذه  
التشبيهات مع شرحها .

والنفس كاطفل ان تهمله شب على  
حب الرضاع وان تفضمه ينفضم ١١  
يشبه الشاعر النفس هنا بالطفل  
، فكما أن الطفل ان تركته على ما أفه  
من الرضاع دام على حبه، وان منعت  
عنه امتنع، كذلك النفس ان تركتها على

على قدم ،أما وسيلتها فأسلوب التشبيه  
بأداة «كأن» فقد خلق البوصيري  
عالما تخييليا موازيا أصبحت فيه فروع  
الشجر أقلما تكتب على صفحة الأرض  
وسط الطريق و والساق يع سطرًا تحت  
هذه الكتابة .وقد توسل الشاعر لذلك  
أسلوب التشبيه ايضا، لكن بأداة «مثل»  
وهو اكتفى باستحضار صورة من العالم  
العجائبي، حين أصبحت الغمامة ظلا  
ظليلا تتبع خطي رسول الله صلى حتى  
تقيه حر الشمس ولهيبه.

**لها معان كموج البحر في مدد**

**فوق جوهره في الحسن والقيم ١٥**  
«لها معان» الخ أى لتلك الآيات  
السابق ذكرها معان كثيرة لا نهاية  
لها،كموج البحر في مدد أى مثل موج  
البحر في كونه يمد بعضه بعضا اذ  
ما من موجة الا وبعدها موجة، وأشار  
بذلك الى قول بعضهم :« أقل ما قيل  
في العلوم التي في القرآن من ظواهر  
المعاني المجموعة فيه أربعة وعشرون  
ألف علم وثمانمائة علم» وقوله «فوق  
جوهره في الحسن والقيم» أى ولها  
معان فوق جوهر المستخرج من البحر  
في حسنها البديع ، وفي قدرها وشرفها.

**وكالصراط والميزان معدلة**

**فالقسط من غيرها في الناس لم**

**يقم ١٦**

يشبه هذه الآيات كالصراط  
استقامة والمراد بالصراط هو الدين  
الذي لا اعوجاج فيه، كما يشبه الآيات  
بالميزان من جهة العدل، فمعدلة بمعنى  
عدلا هو الميزان الذي يكون في يوم  
القيامة. فالقسط هو العدل المأخوذ

من غير هذه الآيات لم يقم في الناس.  
فالبوصيري في وصف أصحاب  
الرسول في المعارك يقول :

**هم الجبال فسل عنهم مصادهم**

**ما ذا رأى منهم في كل مصطدم**

**فسل حيننا وسل بدرا وسل أحدا**

**فضول حتف لهم أدهى من الوخ ١٧**

ففي البيت الأول يضعنا الشاعر

أمام بيانية أساسها التشبيه البليغ

:فجنود رسول الله صلى الله عليه وسلم

كالجبال. وما عسى هذا المصادم أن

يصنع أمامهم ؟ ان البوصيري لم يجب

لأنه يريد أن يترك المجال مفتوحا أمام

مخيلة المتلقى. أم في البيت الثاني،

فقد استعمل البوصيري أسلوبا آخر

بشعرية واضحة ،تمثلت في استعمال

المجاز لخلق الصورة المثيرة. ذلك

أن الذي يريد أن يعرف مدى شجاعة

الرسول وفروسيته، فما عليه الا أن

يسأل عنه مواقع غزواته في «حنين»

و«بدر» و«أحد». وكان العدو والمشارك

قد دمرعن آخره، ولم يبق من شاهد

الاتك المواقع،ولتأكيد هذا المعنى جاء

بالشطر الثاني على شكل صورة تجمل

حتف العدو أشد من الوخم،أى ذلك

المرض المصاب بالناقاة أو الشاة. وبهذا

تصبح العلاقة بين البيت الأول والثاني

علاقة تفصيل بعد اجمال.

**سربت من حرم ليلا الى حرم**

**كما سرى البدر في داج من الظلم ١٨**

يشبه حال الرسول في يوم ذهابه

من مسجد الحرم بمكة الى مسجد

القصي بالقدس كسير القمر ليلة

كماله وهي ليلة أربعة عشر بوضوح

. فان جمال هذا البيت جاء من

شعورك ببراعة الشاعر وحذقه في  
عقد المشابهة بين حالتين ،وهما حالة  
اسراء الرسول بسهولة بالليل بحال  
القمر المنبر الساطع.وفي هذا البيت الى  
قصة الاسراء، وقد ذكرها الله تعالى  
بقوله: سبحان الذي أسرى بعبده ليلا  
من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى  
الذي باركنا حوله .... ( الاسراء :آية  
١ )

كل هذه الوجوه الفنية تؤكد براعة  
الشاعر وعمق فكره وغزرة علمه في  
الشعر العربي كما أكد الشاعر هذه  
لصفات وثبتها في نفوس المسلمين  
ليبيان فضل الرسول عليه السلام وحب  
المسلمين له أمام الكفار.

### الخاتمة

هذا البحث هو عبارة عن النظرالى  
ظاهرة التشبيه في قصيدة لبردة  
الامام البوصيري. لقد سعى البحث الى  
التعريف بالموضوع معجميا واصطلاحا،  
فسلط الضوء على شخصية محمد  
البوصيري، ثم ركزالبحث على بعض  
الأنماط من التشبيهات المستخدمة  
في القصيدة مع تحليلها. قد اسئمت  
وترابط وتناسب دلالي الذي يعتمد  
على التداعى أكثر من اعتماده على  
الربط المنطقي، وهذا شيء طبيعي في  
القصيدة العربية الكلاسيكية عموما.

### الهوامش

١. الدكتور محمد أبو موسى، مدخل

الى كتاب الامام عبد القاهر

الجرجاني، مطبعة وهبة ،مصر،

٢. مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، المعجم الوسيط، مادة تشبيه ، ط ٢ ، ١٩٧٢/١٣٩٢ ، القاهرة
٣. د.عبد الباقي شعيب أغاك، التفكير البلاغي الحديث، مخطوط بمكتبته الخاصة، ص ٢٢.
٤. أحمد بن ابراهيم ، جواهر البلاغة ، دار احياء التراث العربي:بيروت ، ١٩٩٨، ص ١٥٩
٥. محمد فتح الله ، بردة البوصيري، دار الكتب العلمية، ٢٠١١، ص ١٩
٦. محمد فتح الله ، بردة البوصيري، ص ٦٤
٧. نفسه ، ص ٤١
٨. ديوان البوصيري، تحقق، محمد سيد كيلاني ، بمصر ، ص ٦٩-٧٧
٩. نفسه، ص ٤٤
١٠. الامام البوصيري ، البردة ، تحقيق، الشيخ البراهيم الباجوري، مكتبة الصفا ، بيروت ، دون تاريخ، ص ٦-٥
١١. الامام البوصيري ، البردة ، ص ٦
١٢. نفس المرجع ، ص ١١-١٢
١٣. نفس المرجع ص ١٢-١٣
١٤. نفس المرجع ص ٤٩
١٥. نفس المرجع ، ص ٢٠
١٦. نفس المرجع ، ص ١٩
١٧. نفس المرجع ، ص ٢٣
١٨. نفس المرجع ، ص ٢٠